المسلسلات المصرية وفن الأڤورة

شهر رمضان هو أعظم وأكتر شهر مقدس عند المسلميين، لكن محدش يقدر ينكر إن شهر رمضان برضو هو أكتر وقت شركات الإنتاج بتصنع فيه فلوس بسبب كمية المسلسلات الهائلة اللي بتطلع منه. أنا—كشاب مصري عربي محدود الدخل—قررت في رمضان اللي فات إني أديّ فرصة لمسلسل مصري جديد من نوعية الخيال العلمي اللي نادراً ما بشوفها في الإنتاجات العربية، غالبا بسبب إن نوعية المسلسلات دي بتتكلف وقت وأموال وجهود أكتر من المسلسلات الدرامية الاجتماعية اللي مفيش منها أول أو آخر.

مع إن المجهود كان باين على المسلسل، إلا أنى وجدت فيه المشكلة الفانية اللي دايما بشوفها في المسلسلات العربية—الأڤورة.

الأڤورة يا عزيزي القارئ هي ما تعرف بالمبالغة التعبيرية على وجوه الممثلين في وقت تمثيل مشهد ما. غالبا بيبقا ردود فعل صعب أنك تشوف حد يعمل زيها في الحياة العادية أو إنها بتكون مش مناسبة على الإطلاق للموقف الدرامي. بما إن مصر هي الدولة الأولى والأكبر في إنتاج وتوزيع المسلسلات الدرامية، فهي أيضاً أكبر دولة في تصدير الأڤورة. ونفس الأڤورة دي هي اللي بتنفر مشاهدين مثلي عن مشاهدة التليفزيون والمسلسلات دي، ده غير طبعا ان معظمها ممل من الناحية الدرامية و مش بيزود فايدة لمحيط المسلسلات الموجودة الغير مختلفة عن سابقتها ولاحقتها. وطبعا مش محتاج أقول إن المسلسلات دي بتصور

العنف الأسري كأنها حاجة عادية وحاجات تانية أوحش بكتير عن كده—بس أنا مش هتكلم عن ده دلوقتي. نرجع لموضوعنا.

من سنة كده، أحد أصدقائي على الفايسبوك شارك مقطع فيديو للممثل بيومي فؤاد، اللي صعد لذروة مجده في السنين الأربعة أو الخمسة اللي فاتوا بتأدية مشاهد كوميدية في مسلسلات مختلفة. لكن المشهد ده كان مشهد حزين ومؤثر، كان بيعبر فيه عن الأسى اللي حس بيه لما عرف إن حد من الناس اللي قريبين منه مات. المشهد كان صادق لإن بيومي فؤاد عرف إزاي يخلي تعابير وشه توصّل للمشاهد اللي بيحس بيه فعلا جوه قلبه من غير زعيق أو أڤورة.

لو كان للمسلسلات المصرية بارومیتر لقياس الصراخ والزعيق والانهيارات اللي بتمر بيها الممثلات والممثلين المصريين كل حلقة، لكان انفجر البارومیتر. الموضوع وصل إنه بقا أشبه بمسابقة عن مين أكتر ممثلة تقدر تصرخ أو تعيط عشان توصل اللي جواها بطريقة غير ساخرة، والمشاهدين هما الحكام. لكن الموضوع مش شطارة أو حرفة، ومش حاجة صعبة إن أي إنسان يقدر يعملها. زمن الميلودراما بتاع الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي انتهى عهده لكن للأسف الممثلين معرفوش يغيروا منه لحد النهاردة.

عشان أقدر أوصل فكرتي أكتر، عايز أقتبس شوية كلام قاله الممثل نور الشريف في ورشة فنية لتعليم التمثيل في ٢٠٠٦ في الكويت. نور الشريف كان بيشرح إن في ممثل أوڤر وفي ممثل أندر (بمعنى إنها عكس الأوڤر). وأبدى أعجابه بالممثل الأمريكي مارلون براندو اللي بيعتبره أكتر ممثل أندر شافه في حياته لأنه يقدر يقول كتير أوي بقليل أوي. وإن المخرج لو

مش فاهم أسلوب الممثل، ده يقدر يدمر الممثل. وبيتكلم أيضا عن إن الجيل الجديد من الممثلين (اللي نشأوا في فترة الثمانينات) تعبيرات وشوشهم بتبقا زيادة عن اللزوم وبيوصف ان الاندماج المبالغ فيه بيبقا حالة مرضية.

نور الشريف—وأنا برضو—مش ضد ان الممثل يتمادى في ردود فعله بالصراخ والهيستريا. لكن لما الموضوع يزيد عن حده في عدد المرات الممثل ده بيعمل كده وان هو ده بقا النهج المتبع في المسلسلات العربية، تبقا هي دي المشكلة. واللوم بيقع مش بس على الممثل، لكن برضو على الكاتب والمصور والمخرج.

أنصحكم إنكوا تتفرجوا على الفيديو ده لأنه شرح مهم جدا لأداء الممثل من الراحل نور الشريف—ممكن تبدأوا الفيديو من الدقيقة ١٩:٣٦ لو عايزين تدخلوا على طول في اللحظة اللي بيبدأ فيها يتكلم عن الأقورة:

أنا اتفرجت على مشاهد كتير في حياتي لما الشخصية الرئيسية أو واحد من الشخصيات الرئيسية بيعدي بموقف حزين جدا فبيضطر إنه يعبر عن أساه بشدة أو حرقة من غير ما يبان إنه مصطنع أو انه أوڤر. واحد من المشاهد دي اللي عمرى ما هنساها هو المشهد الختامي في فيلم "الأب الروحي: الجزء الثالث" لما آل باتشينو كان بيصرخ على بنته اللي أتقلت أدام عينه. روبيرت دي نيرو وممثلين كتير اتفقوا على ان ده أعظم مشهد درامي حزين في تاريخ السينما الحديثة وده مع إن صرخة آل باتشينو بقت صامتة بعد المونتاج، إلا أنك ممكن تسمع صراخه وتحس بألمه في نفس الوقت—وأنا مقدرش مقولش أني حسيت بنفس الشيء.

كل كلامي ده ميمنعش ان فيه مسلسلات ظهرت في العشر السنين اللي فاتوا بيناقشوا قضايا مهمة بتحصل في المجتمعات العربية وبتمثيل صادق ومعبّر خالي من السطحية والأفورة وأقربهم إلى قلبي هيفضل "سابع جار".

لكن الحقيقة، عزيزي القارئ، أنا مش عارف امتا المستوى الفني بتاع المسلسلات العربية هيرتقي ويقدر ينافس المسلسلات الغربية (اللي أنا مبتفرجش غير عليها، للأسف) لكن أنا هفضل متفائل ان في أجيال قادمة هترفع من المستوى ده وإن يبقا فيه تنوع في المسلسلات الدرامية والقضايا اللي بتناقشها مع زوال القيود على حرية التعبير وان المنتجين يبطلوا يعتبروا المسلسلات دي آلات لتصنيع الأموال و"المشي مع الترند" وان هما يبصوا ليها على انها عمل فني خالص ومضني.

الخلاصة: أرجوكوا بطلوا أڤورة.